منهج ابن جُزي المالكي
في تناوله للقراءات القرآنية
في سورة البقرة

بقلم
د / نواف سعيد عوض المالكي
استاذ مساعد بقسم القراءات
بجامعة أم القرى

١٤٤٠ هـ = ٢٠١٨ م

الملخص

صنَّف الإمام أبو القاسم ابن جزي الكلبي تفسيرًا جامعًا لأفنان العلوم، في لفظ رشيق وعبارة جامعة، أسماه (التسهيل لعلوم التنزيل)، وقد أفرد علم القراءات بحظٍّ وافر من تفسيره هذا؛ حتىٰ إنه قد اعتمد قراءة بعينها، وأقام تفسيره عليها، وهي قراءة الإمام نافع، وعليه فهذا منهج متميز يسترعىٰ الانتباه. ولذلك نحوت في هذه الدراسة إلىٰ بيان منهجه في تناوله للقراءات القرآنية.

ويهدف هذا البحث إلىٰ: التعرف علىٰ منهج الإمام أبي القاسم ابن جزي الكلبي من خلال تفسيره عامة، ومن خلال عرضه للقراءات القرآنية الواردة في حيز الدراسة خاصة، وإثبات العلاقة الوطيدة بين أوجه القراءات القرآنية، والرسم، والإعراب، والصرف والمعاني وغيرها.

ومن أبرز نتائج البحث: أن ابن جزي التزم بمنهجه في إيراد القراءات القرآنية في تفسيره التسهيل؛ وقد أوضح منهجه أنه لن يذكر من القراءات إلا ما كان له فائدة في المعنىٰ وبيان في الإعراب. وإن ابن جزي قد امتاز بنهج قويم بنىٰ عليه تعامله مع القراءات القرآنية وأئمة القراءات، ولا سيما المتواتر منها، فقد كان من أمره أنَّه يحتج بالقراءة القرآنية لتقرير معنىٰ تفسيري استنبطه من كتاب الله تعالىٰ، بل نراه كيف طبق أن القراءة القرآنية قد غيرت المعنىٰ القرآني كلية، وحولته من الأسلوب الإنشائي البحت إلىٰ الأسلوب الخبري لفظًا الإنشائي معنىٰ وهو ما أكسبته القراءات القرآنية.

ويوصي البحث بدراسة مناهج المفسرين الآخرين دارسة منهجية عامة، والاهتمام بمعرفة مناهجهم في تناولهم لعلم القراءات خاصة، وينبغي أن يطبع تفسير ابن جزي طبعة جديدة؛ تليق بالجهد الذي بذله ابن جزي فيه، فما من طبعة إلا وهي تحتوي علىٰ هفوات شتىٰ، ما بين تصحيف وتحريف، وسوء إخراج لها؛ حتىٰ أن إحدىٰ الطبعات حذفت بعض الكلمات والتي أرادها ابن جزي أن تكون مَعلمًا لكتابه، وما حمله علىٰ ذلك إلا الجهل بطبيعة الكتاب الذي يتعامل معه، وعليه فينبغي أن تتبنىٰ هيئة علمية لطباعة الكتب التراثية بعناية فائقة، وإلا رجعنا من كل كتاب بخفي حنين.

كلمات مفتاحية:التسهيل، ابن جزي، الشاذة، القراءات، المتواترة.

Aledresi
Authorized Translation Office
License No. (720)
Memb. No. (202001171041)

الإدريسي
للترجمة المعتمدة
ترخيص رقم (٧٢٠) فرع مكة
عضوية رقم (٢٠٢٠٠١١٧١٠٤١)

Abstract

Imam Abu al-Qasim Ibn Juzzi Al-Kalbi wrote a comprehensive interpretation (Tafseer) including many types of knowledges, in the form of an easy words and comprehensive terms, which he called: (AL-TASHEEL LI ULOUM AL-TANZEEL " the easy Explanation for of the knowledge of Revelation"). He allocated the science of Quranic reading with a great deal of this interpretation. He even adopted the reading of Imam Nafe' in which he depended on through his explanation. Therefore, in this study, I tried to reveal his approach in dealing with the Qur'anic readings.

this research aims to Identify the approach of Imam Abu al-Qasim Ibn Juzzi al-Kalbi through his general interpretation, and through his presentation of the Qur'anic readings in the study area in particular, and to prove the close relationship between the aspects of Quranic readings, Quranic script، grammatical style, morphology, meanings and so forth

The most prominent findings of the research are: Ibn Juzzi committed to his methodology in the introduction of Quranic readings in his interpretation; and he explained his approach that he will not mention the readings except what was useful in the meaning and authentic grammatical declension. Ibn Juzzi was distinguished by a correct approach in which his dealing with Quranic readings and imams of readings, especially the authentic ones was built upon. It was his approach to use the Qur'anic reading to determine an interpretive meaning derived from the Quran, and transformed it from the purely structural style to the style indicative in words structural in meaning, which was given by the Qur'anic readings.

The study recommends studying the approaches of other interpreters as a general methodology study, and to pay attention to the knowledge of their approaches in their handling of the Quranic readings in particular. The interpretation of Ibn Juzzi should be printed in a new edition worthy of the effort made by Ibn Juzzi as there is no edition but it contains various errors including exchanging of letters and alteration even some words which Ibn Juzzi saw them as a sign for his book, and the one wo deleted these words only did that under ignorance of the nature of the book that he deals with. Thus, a scientific body should adopt printing heritage books very carefully, otherwise we will return empty-handed.

Keywords:
AL-TASHEEL " the easy Explanation" – Ibn Juzzi – Abnormal – Quranic readings – Authentic reading

ALEDRESI AUTHORIZED TRANSLATION OFFICE MAKKAH

العنوان / مكة المكرمة – حي العزيزية – جامعة أم القرى بجوار موقف الجامعة – البوابة رقم ١
جوال : ٠٥٦٩١٢٦١١٦– بريد الكتروني: a1951980@outlook.com
Holy Makkah Aziziah District – Umm Al-Qura University , next to University car parking
Mobile / 0096656912611 6- email: A1951980@outlook.com

مقدمة البحث

الحمد لله العزيز الوهاب، أنزل علىٰ عبده الكتاب، هدىً وذكرىٰ لأولىٰ الألباب، والصلاة والسلام علىٰ سيد الأحباب، نبينا محمد ﷺ النبي الأمي المبعوث بالحق والصواب، الشافع المشفَّع يوم الحساب، وعلىٰ آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم المآب.

فقد جاءنا رسول الله ﷺ بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، جمع الله تبارك وـ تعالىٰ ـ فيه سنن الأولين، وأتم به الشرائع والدين، فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به خرج من الظلمات إلىٰ النور، وفاز بخيري الدنيا والآخرة.

وقد اعتنىٰ العلماء بالقرآن الكريم وعلومه عناية كبيرة، وخاصة علم القراءات، حيث إن المفسرين اعتبروه الخادم الأمين لبيان معاني القرآن الكريم وإثراء التفسير لبيان مراد الله ـ تعالىٰ ـ من عباده، وعليه فلمَّا كان «علم القرآن العظيم: هو أرفع العلوم قدرًا، وأجلها خطرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا»(١)، فقد خاض غماره إمام كبير ومتصدر جليل تميَّز بأسلوبه المختصر النافع، وهو الإمام الجليل أبو القاسم ابن جزي الكلبي؛ فقد «كان ـ رحمه الله ـ علىٰ طريقة مثلىٰ من العكوف علىٰ العلم، والاشتغال بالنظر والتقيد والتدوين، جمع إلىٰ الفقه جودة الحفظ وإتقان التفسير، وشارك في كثير من الفنون كالعربية والأصول والقراءات، والحديث والأدب، وجمع في مكتبته العديد من الكتب المفيدة والمراجع المهمة»(٢)، وإنَّه قد صنَّف تفسيرًا جامعًا لأفنان العلوم،

(١) من قول ابن جزي في مقدمة تفسيره. ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي، تحقيق: د.عبد الله الخالدي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ =١٩٩٦م، ١/ ١٠.

(٢) مناهج المفسرين، د.منيع بن عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني– بيروت، ط١، ١٤٢١هـ =٢٠٠٠م، (ص٢١٠).

في لفظ رشيق وعبارة جامعة، وقد أفرد علم القراءات بحظٍّ وافر من تفسيره هذا؛ حتىٰ إنه قد اعتمد قراءة بعينها، وأقام تفسيره عليها، وهي قراءة الإمام نافع؛ فقال في مقدمة تفسيره: «إنما بنينا هذا الكتاب علىٰ قراءة نافع لوجهين: أحدهما أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب، والأخرىٰ اقتداء بالمدينة- شرفها الله- لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك: قراءة نافع سنة»[1]، فهذه طريقة متميزة في إقامة تفسيره؛ وَفَق قراءة بعينها، وعليه فهذا منهج متميز يسترعىٰ الانتباه.

وكما أن للمفسرين مذاهبَ ومشاربَ في تفاسيرهم فكذا في تناولهم للقراءات القرآنية في ثنايا كتبهم وعرضها لهم، وعليه فلا يقل إبراز مناهجهم في القراءات عن إبراز أساليبهم في تناولهم لكتاب الله ﷻ؛ إذ لكلٍّ من الأمرين فوائد كثيرة، وعليه فقد نحوت في هذه الدراسة إلىٰ بيان منهج الإمام أبي القاسم ابن جزي الكلبي في تناوله للقراءات القرآنية وَفق ما يلي:

أسباب اختيار موضوع البحث:

دفعني إلىٰ تناول موضوع هذا البحث عدة أسباب؛ أبرزها:

١- إبراز المنهجية العلمية التي أقام عليها ابن جزي القراءات القرآنية في تفسيره؛ من حيث اشتمالُه علىٰ كم كبير ووفير من القراءات التي أوردها في تفسيره، واحتفي بها، وخصَّ المتواتر بالذكر، وحصر المتواتر في القراءات السبعة، وكذا اهتمامه بالقراءات الأربعة التي فوق العشر، علىٰ ما سيأتي بيانه، كما أنَّه سعىٰ في توجيهها.

٢- إن ابن جزي الكلبي ـ رحمه الله ـ له مدرسة مميزة عن غيره في منهجه في القراءات القرآنية؛ وهو وإن كان نقل عمَّن قبله؛ لكنه وضع لنفسه منهجًا سار عليه في تفسيره هذا؛ من حيث توجيهه للقراءات وتعليلها، وقد لا يعثر علىٰ مثله

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٦).

في نفاسة المحتوىٰ وجودته، وقد اتخذ إحدىٰ القراءات المتواترة، وبنىٰ عليها تفسيره علىٰ ما سيظهر معنا فيما خصصت فيه الدراسة.

٣- أن ابن جزي ـ رحمه الله ـ قد أفرد لعلم القراءات بابًا خاصًا في مقدمة تفسيره، وكذا قد صنف فيه؛ فالتزم في تفسيره منهجًا ينبغي استقصاء شوارده، والوقوف علىٰ خزائنه.

٤- أن ابن جزي ـ رحمه الله ـ قد التزم في كتابه أنَّه لم يذكر من القراءات إلا ما فيها فائدة في المعنىٰ والإعراب، وغير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة[(١)]، وهذا بلا شك نهج في انتقاء القراءات ينبغي الإلماع إليه.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من الأمور التالية:

١- أن لعلم القراءات فضله العظيم وأثره الكبير في سائر العلوم، وبخاصة علم تفسير الكتاب المبين؛ فبين الفنين ارتباط وثيق وعلاقة حميمة.

٢- أن هذا البحث يستمد أهميته من نهج ابن جزي في تفسيره؛ حيث أنَّه سار فيه علىٰ طريقة انتقاء القراءات، مما يجزم بأهمية الوقوف علىٰ عمله وتقويمه.

٣- أن المصنف قد فرَّق بدوره بين القراءات السبع، وألحق ما اشتهر من القراءات وساير القراءات؛ كابن محيصن، كما أشار إلىٰ ذلك ابن جزي في المقدمة.

أهداف البحث:

يسعىٰ هذا البحث إلىٰ تحقيق الأهداف الآتية:

١- التعرف علىٰ منهج الإمام أبي القاسم بن جزي الكلبي من خلال تفسيره عامة، ومن خلال عرضه للقراءات القرآنية الواردة في حيز الدراسة خاصة.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٦).

٢- إثبات أن هناك علاقة وطيدة بين أوجه القراءات القرآنية، والرسم، والإعراب، والصرف والمعاني وغيرها.

٣- التعرف علىٰ عَلَمٍ من أعلام المفسرين؛ خاصة فيما يتعلق بالتفسير اللغوي للقرآن الكريم القائم علىٰ علوم العربية.

حدود الدراسة:

حدت هذه الدراسة باتخاذها من تفسير سورة البقرة في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل حيزًا أُقيمت عليه، وبالتالي فإن إيراد القراءات القرآنية وتناولها وحديثي عنها عند ابن جزي سيكون وَفق هذا الحيز من تفسيره ـ رحمه الله ـ.

منهج البحث:

المنهج المستخدم في هذا البحث بعد التمحيص والدراسة هو المنهج الاستقرائي التحليلي، القائم علىٰ استقراء بيان منهج ابن جزي في تناوله لقراءات القرآن الكريم[1]، وكذلك المتعلقة بالقراءات المتواترة والشاذة في الحيز الذي ستشغله الدراسة هنا، وعليه ففي سبيل تحقيق أهداف البحث، سوف أحرص علىٰ اتباع النقاط التالية:

١- عزو الآيات القرآنية إلىٰ أماكنها، وذلك ببيان اسم السورة ورقم الآية.

٢- عزو القراءات القرآنية إلىٰ أصحابها، وتخريجها من مظانها من كتب القراءات.

٣- تخريج الأحاديث النبوية من أمهات كتب الحديث، مع بيان درجة الحديث والحكم عليه صحة وضعفًا إذا كانت روايته من غير الصحيحين.

---

(١) ينظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٦، ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م، (ص٢٤)، وقواعد أساسية في البحث العلمي، سعيد إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ =١٩٩٤م، (ص٦٩).

٤- تخريج الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين من كتب الآثار.

٥- نسبة الأقوال المنقولة إلىٰ قائليها، وتوثيقها من المصادر المعتمدة.

٦- نقل آراء العلماء من واقع كتبهم مباشرة من غير وساطة.

٧- إذا نقلت المعلومات من المراجع بالنص، جعلتها بين قوسين تمييزًا لها.

٨- ألتزم الأمانة العلمية في نقل المعلومات والأقوال والأدلة من المصادر والمراجع المعتمدة في كل فن.

٩- مراعاة قواعد اللغة في كتابة البحث.

١٠- عمل الفهارس العلمية اللازمة للبحث.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وذلك علىٰ النحو التالي:

التمهيد: وهو في : تعريف مصطلحات عنوان البحث.

المبحث الأول: عن : منهج ابن جزي في تناول القراءات القرآنية المتواترة والشاذة.

المبحث الثاني: منهج ابن جزي في توجيه القراءات القرآنية والاحتجاج بها.

المبحث الثالث: ربط المعنىٰ القرآني بالقراءات القرآنية عند ابن جزي.

خاتمة البحث: وفيها: أهم نتائج البحث وتوصياته.

وَالْحَمْدُ للهِ أَوَّلاً وَآخِرًا

التمهيد

تعريف مصطلحات عنوان البحث

أولاً: التعريف بالشيخ أبي القاسم ابن جزي المالكي:

هو : أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي، الغرناطي، الأندلسي، ولد بغرناطة من بلاد الأندلس يوم الخميس في التاسع من ربيع الثاني عام ٦٩٣هـ[1].

وكان أبو القاسم ابن جزي ـ رحمه الله ـ علىٰ «طريقةٍ مُثلىٰ من العكوف علىٰ العلم، والاشتغال بالنّظر والتّقييد والتّدوين، فقيها، حافظا، قائما علىٰ التدريس، مشاركا في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حفظة للتفسير، مستوعبا للأقوال، جمّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن»[2]، فهو إمام عالم حافظ متقن مدرس شهير، وقد تولىٰ الخطابة في الجامع الأعظم بغرناطة بالرغم من حداثة سنه، فاتفقوا علىٰ فضله، وكان من ذوي الأصالة والوجاهة والنباهة والعدالة، وهو مالكي وقد كان جمّاعةً للكتب ملوكي الخزانة.

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة، لأبي عبد الله لسان الدين بن الخطيب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ =٢٠٠٤م، (٣/ ١٠)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ =١٩٧٢م، (٥/ ٨٨)، وإنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: د.حسن حبشي، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ط١، ١٣٨٩هـ =١٩٦٩م، (١/ ٢٨١)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لشهاب الدين المقري التلمساني، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٨م، (٥/ ٥١٤)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ =١٩٨٦م، (٨/ ٤٩٤).

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، (٣/ ١١).

ولقد كان لابن جزي مصنفات كثيرة؛ منها تفسيره التسهيل وهو الذي معنا، وله في القراءات؛ المختصر البارع في قراءة نافع، وأصول القراء الستة غير نافع[1].

وفُقِدَ وهو يحرض الناس في معركة طريف في يوم الاثنين التاسع من جمادىٰ الأولىٰ عام ٧٤١هـ =عن عمر يناهز الثامنة والأربعين عامًا.

ثانيًا: التعريف بكتاب (التسهيل لعلوم التنزيل):

كتب الله لهذا الكتاب القبول في الأرض؛ فقد كان له النصيب الوافر من العناية والحفاوة، وذلك لخصائصه ومميزاته، فأسلوبه ميسر سهل علىٰ من يريده، ممتع الرياض لمن يرتاده، وفيه من الإيجاز ما يفي بالحاجة، وهو يمتاز بالصدق والأمانة في النقل والرواية، وهو مزيج من الرواية والدراية، فالكل يجد فيه الغاية. لذلك فقد اختص الله ـ تعالىٰ ـ رجال العلم والتحقيق بالطباعة والتدقيق لنشر هذا الكتاب القيم، وقد كان لدار مصطفىٰ محمد اليد الطولىٰ في نشر هذا التفسير، والعناية به، فهو الذي حقق هذا التفسير، وأخرجه إلىٰ عالم الطباعة والنشر بعدة طبعات بعد أن كان كنزًا دفينًا، وإليك وصفها، ثم أتبعها بذكر طبعتي المعتمدة فيما يلي:

الطبعة الأولىٰ، وهي تعدُّ من أصول نسخ هذا الكتاب: هي عبارة عن أربعة أجزاء يجمعها مجلد واحد، ومكتوب علىٰ صفحة العنوان بأنه قد عني بمقابلتها علىٰ عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية، وصححها نخبة من العلماء، وهو يطلب من المكتبة التجارية الكبرىٰ، لصاحبها مصطفي محمد بجمهورية مصر العربية، وقد كان تاريخ هذه الطبعة سنة ١٣٥٥هـ.

وقد طبع بعد ذلك طبعات كثيرة تصب أغلبها في أنَّها تجارية، وكان من أفضلها الطبعة التي طبعت بعناية وتحقيق: أ.د.عبد الله الخالدي، وخرجت عن

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، (٥/ ٥١٤).

شركة الأرقم بن أبي الأرقم، في مجلدين، وقدَّم لها د.الخالدي مقدمة ضافية عن أصول علم القراءات، وفروشه، وأشهر القراء، وهو ما عليه مدار البحث.

ثالثًا: التعريف بالقراءات القرآنية:

يعرف علم القراءات اصطلاحًا بأنه: العلم الذي يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله(١).

ويُقسِّم ابن جني القراءات قسمين: قراءة السبعة، وهي المودعة في كتاب ابن مجاهد – السبعة في القراءات –، والثاني قراءات خارجة عن السبعة؛ وهي الشاذّ من القراءات «إلا أنّه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلىٰ قرّائه، محفوف بالروايات من أمامه ووراءه»(٢).

ويحدد ابن الجزريّ حدَّ القراءة الصحيحة المقبولة؛ فيقول: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصحّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحلّ إنكارها.... ومتىٰ اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أُطلق عليها ضعيفة، أو شاذّة، أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم»(٣).

وعليه فتعرف القراءات الشاذة اصطلاحًا بأنها: «كل قراءة فقدت أحد الأركان الثلاثة لقبولها»؛ بحيث إنها:

---

(١) ينظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لشمس الدين ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م، (ص٣)، والبدور الزاهرة في القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة، عبد الفتاح محمد القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، (ص٧).

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، للإمام أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م، (١/ ٣٢).

(٣) النشر في القراءات العشر، لشمس الدين بن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرىٰ، القاهرة، د.ت، (١/ ٩).

١ - لم تكن متواترة.

٢ - أو خالفت رسم المصاحف العثمانية كلها.

٣ - أو لم يكن لها أصل في اللغة العربية، فهي شاذة[١].

وقيل: الشاذ: ما ليس بمتواتر[٢]. فكأنَّ القراءة التي لم تصل إلىٰ درجة التواتر - عند الجمهور - أو إلىٰ الشهرة، أو الاستفاضة - عند ابن الجزري ومَن تابعه - شاذَّةٌ؛ لأن الأصل في قبول أي قراءة هو وصولها إلىٰ درجة التواتر، أما الشرطان الأخيران فللاستئناس بهما؛ لأنه لا توجد قراءة متواترة مخالفة للشرطين الأخيرين أو أحدهما، أما القراءة غير المتواترة فقد تكون مخالفة للشرط الثاني أو تكون مخالفة للشرط الثالث، وهذا هو حال جميع القراءات الشاذة. ولا توجد قراءة متواترة لم يقرأ بها أحد القراء العشرة المشهورين، فعلىٰ هذا لنا أن نقول: إن القراءات الشاذة هي ما وراء القراءات العشر المتواترة المتداوَلة والمروية من القراء العشرة المعروفين. وعلىٰ ما تقدم يقول الإمام النويري - رحمه الله - تعالىٰ -: «أجمع الأصوليون والفقهاء علىٰ أنه لم يتواتر شيء مما زاد علىٰ القراءات العشرة، كذلك أجمع عليه القراء أيضًا إلا من لا يعتد بخلافه[٣]».

رابعًا: مصادر ابن جزي في القراءات:

تقدَّم معنا أن ابن جزي كان جماعة للكتب، ذا مكتبة عظيمة، وهذا من شأنه أن يدل علىٰ كم المصادر العلمية التي اكتنفها ابن جزي وأفاد منها في تفسيره كما ذكر ذلك في مقدمة التسهيل، ولكن ثمَّة مصادر ذكر ابن جزي أنَّه اعتمد عليها فيما يخص علم القراءات، وخصَّ من ذلك مصدرين؛ هما:

---

(١) ينظر: منجد المقرئين، لابن الجزري، (ص١٨)، والنشر في القراءات العشر، (١/ ٩)، وغيث النفع في القراءات السبع، لأبي الحسن الصفاقسي، تحقيق: أحمد محمود الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ =٢٠٠٤م، (ص١٤).

(٢) ينظر: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحب الدين النويري، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م، (١/ ١٢٦)، وغيث النفع، للصفاقسي، ص١٤.

(٣) شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحب الدين النويري، (١/ ١٢٦).

- كتب أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ): الإمام الجليل أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الداني القرطبي المالكي، إمام القراءات في زمانه؛ ولد عام ٣٧١هـ في قرطبة وتصدَّر للإقراء، وكان ذا شأن، وأضحىٰ من الأعلام في علم القراءات، وله مصنفات قيمة في علم القراءات؛ منها (جامع البيان في القراءات السبع) و(التيسير في القراءات السبع) و(المقنع في رسم المصحف). وتوفي عام ٤٤٤هـ[١].

قد أولىٰ أبو القاسم ابن جزي كتب أبي عمرو الداني عناية فائقة، وخصَّه بالذكر وبكثرة التآليف، وأنَّه ممن اعتمد علىٰ كتبه، فقال ابن جزي في مقدمة تفسيره،: «وأما أبو عمرو الداني فتآليفه تنيف علىٰ مائة وعشرين. إلا أن أكثرها في القرآن. ولم يؤلف في التفسير إلا قليلا»[٢].

وكذا حرص أبو القاسم علىٰ إيراد رأي أبي عمرو الداني في إثبات البسملة وتركها وقد قدَّم بين يدي تفسير البسملة عشر فوائد؛ فقال: «الثانية: إذا ابتدأت أوّل سورة بسملت إلّا براءة. وسنذكر علة سقوطها من براءة في موضعه، وإذا ابتدأت جزء سورة فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرو الداني، وتترك البسملة عند غيره»[٣].

وممن تقدَّم يمكننا القول: إن أبا عمرو الداني ذو مكانة خاصة عند ابن جزي، ولقد حرص ابن جزي علىٰ بيان ذلك؛ سواء في مقدمة تفسيره أم في ثناياه.

- كتاب الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ):

هو الإمام الجليل أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان الفارسي، أبوه فارسي وأمه عربية، من أكابر النحويين، ولغوي بارع، نشأ في خلافة بني

---

(١) ينظر ترجمته في: إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأريب، لشهاب الدين ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ =١٩٩٣م، (٤/ ١٦٠٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي لخير ابن الجزري، تحقيق: برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، طبعة مصورة عن الطبعة الأولىٰ، ١٣٥١هـ =(١/ ٥٠٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٢٠).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ١/ ٤٨، وقول أبي عمرو الداني، في التيسير في القراءات السبع، له، تحقيق: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ =١٩٨٤م، (ص١٨).

العباس، ورحل في طلب العلم ومكث في شيراز عشرين عامًا، واتصل بعضد الدولة البويهي، من أهم تصانيفه: (الحجة للقراء السبعة) و (التعليقة علىٰ كتاب سيبويه) و(الأبيات المشكلة الإعراب)[١].

ويعدُّ كتاب أبي علي هذا من أهم الكتب التي يعتمد عليها المفسر لكتاب الله؛ فإنه – مع عنوانه الذي يوحي أنَّه تحدث فيه عن القراءات وتعليلها- إلا أنَّه تكنف بين دفتيه الآراء التفسيرية الكثيرة، والتي اعتمد عليها كثير من أكابر المفسرين، وكذا قد اعتد به ابن جزي في تفسيره، وكان من شأنه معه أنَّه يورد قوله مع قول الزمخشري أو غيره من المفسرين واللغويين، ولا يعلق إلا إذا وجد القول محتملاً، وفي بعضٍ من الأحيان نجد ابن جزي يبنه علىٰ اعتزاليات أبي علي الفارسي وهو يورد قوله، ومن أمثلة نقل ابن جزي عن أبي علي الفارسي:

ففي إيراد إعراب قوله: {تَحْبِسُونَهُمَا} من قول الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المائدة]؛ حيث يقول ابن جزي في قوله ـ تعالىٰ ـ: {تَحْبِسُونَهُمَا}: «قال أبو علي الفارسي: هو صفة لآخران، واعترض بين الصفة والموصوف بقوله: (إن أنتم...) إلىٰ قوله (...الموت)؛ ليفيد أن العدول إلىٰ آخرين من غير الملة، إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض، وحلول الموت في السفر، وقال الزمخشري: (تحبسونهما) استئناف كلام من بعد الصلاة»[٢].

---

(١) ينظر ترجمته في: إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة، لأبي الحسن جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ =١٩٨٢م، (١/ ٣٠٨)، ومعجم الأدباء، (٤/ ١٦٠٤).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٢٤٨)، وينظر قول أبي علي في: الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جريجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، بيروت، دمشق، (٣/ ٢٦٥).

ومن ذلك أيضًا إيراده في توجيه قول الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿...هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة المائدة]، قول ابن جزي: «قرأ غير نافع بقية القراء: {هذا يَوْمُ} بالرفع علىٰ الابتداء أو الخبر، وقرأ نافع بالنصب. وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون يوم ظرفًا لـ (قال)؛ فعلىٰ هذا لا تكون الجملة معمول القول، وإنما معموله هذا خاصة والمعنىٰ قال الله هذا القصص أو الخبر في يوم، وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام، والآخر أن يكون هذا مبتدأ، ويوم في موضع خبره والعامل فيه محذوف تقديره هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم، ولا يجوز أن يكون يوم مبنيا علىٰ قراءة نافع؛ لأنه أضيف إلىٰ معرب، قاله الفارسي والزمخشري»[1].

وبعد، فقد اعتدَّ ابن جزي بنقل آراء أئمة القراءات الداني والفارسي وغيرهما، وأفاد من ذلك في تفسيره، فكان تفسيرًا مختصرًا موسوعيًا جامعًا لعلوم المتقدمين كما أراده مصنفه ـ رحمه الله ـ.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٢٥٢)، والحجة للقراء السبعة، (٣/ ٢٨٢، ٢٨٣).

المبحث الأول
منهج ابن جزي
في تناول القراءات المتواترة والشاذة

تقدم التعريف بالقراءات القرآنية المتواترة والشاذة، وتبين أن المتواتر منها عشر قراءات، وأن القراءة المتواترة، هي التي تكون إحدىٰ هذه العشر، ولكن الشيخ أبا القاسم بن جزي هنا تنقسم عنده القراءات قسمين: مشهورة، وشاذة؛ ووضع ضابطًا لهما عنده؛ فقال: «وأما القراءات: فإنها بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته. ثم إنّ القراءات علىٰ قسمين: مشهورة، وشاذة. فالمشهورة: هي القراءات السبع وما جرىٰ مجراها: كقراءة يعقوب، وابن محيصن. والشاذة ما سوىٰ ذلك»[(١)]. ثم قال في موطن آخر: «فالمشهورة القراءات السبع، وهو حرف نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم، وحمزة، والكسائي الكُوفِيينَ. ويجري مجراهم في الصحة والشهرة: يعقوب الحضرمي، وابن محيصن، ويزيد بن القعقاع. والشاذة ما سوىٰ ذلك، وإنما سميت شاذة لعدم استقامتها في النقل، وقد تكون فصيحة اللفظ، أو قوية المعنىٰ»[(٢)].

ومن النصين السابقين يتضح الآتي:

- أن ابن جزي وضع ضابطًا للقراءة المتواترة، وهي حدَّ الشهرة، وأثبته للقراءات السبع.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٦).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٢٣).

- أنَّه ألحق بالسبع ما اشتهر من القراءات، ولم يفرق بين القراءات الثلاث التي فوق العشرة[1]، وبين القراءات الأربع التي فوق العشر[2]، فهو قد سوَّىٰ بينهما من حيث الصحة والشهرة، وهذا كما- قال أحد الباحثين- مخالف للمفسرين قبله، فهذا «الاختيار لقراءة ابن محيصن دون خلف بن هشام (ت٢٢٩هـ) المعروف بـ «خلف العاشر» مخالف لما هو عليه الحال عند غير المؤلف، فقراءة ابن محيصن تُعدُّ في الشواذِّ، وليست قريبة من قراءة السبعة فتأخذ هذا الحكم»[3].

- أن مفهوم الشاذ عنده هو الذي لم يبلغ حدَّ الشهرة، ولم تستقم في سلسلة النقل، وهذا يفتح بابًا للبحث في تاريخ علم القراءات؛ إذ قد بلغ البحث عن معيار الشهرة في غير هذا الزمان.

- أن القراءة الشاذة يحكم عليها بالشذوذ، وإن كانت فصيحة اللفظ، قوية المعنىٰ.

ثم بيَّن ابن جزي ـ رحمه الله ـ شروط القراءة التي لا يجوز الإقراء إلا بها؛ فقال: «ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلّا بثلاثة شروط: موافقته لمصحف عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، وموافقته لكلام العرب؛ ولو علىٰ بعض الوجوه أو في بعض اللغات، ونقله نقلا متواترا أو مستفيضا»[4].

(١) هم: يزيد بن القعقاع؛ أبو يزيد المكي (ت ١٢٨هـ)، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت ٢٠٥هـ)، وخلف بن هشام (ت ٢٢٩هـ).

(٢) هم: الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وابن محيصن (ت ١٣٢هـ)، وسليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨هـ)، ويحيىٰ بن المبارك؛ أبو محمد اليزيدي (ت ٢٠٢هـ).

(٣) شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، اعتنىٰ بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، دار الجوزي، الملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣١هـ=٢٠١١م، (ص٢٣٠).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٦).

ومما سبق يتضح أن أبا القاسم ابن جزي لم يخرج في تقرير القراءة المتواترة عن شروط العلماء لها، وإن ألحق بها القراءات الأربعة آنفة الذكر؛ حيث صحَّ سندها عن الأربعة ـ رحمهم الله ـ، ولكنها لم تبلغ حدَّ التواتر عند جمهور العلماء؛ المقرئين منهم والمفسرين.

اعتمد ابن جزي قراءة الإمام واتخذ منها بناءً لتفسيره، وأصلاً لها، ويورد ما دونها من قراءات إذا تتطلب المعنىٰ، ولها إفادة في تقريره- كما سيأتي بيانه في المبحث الأخير ـ إن شاء الله ـ.

وعلل ابن جزي اختياره لقراءة ابن نافع بسببين؛ فقال: «وإنما بنينا هذا الكتاب علىٰ قراءة نافع لوجهين: أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب. والأخرىٰ: اقتداء بالمدينة- شرفها الله- لأنها قراءة أهل المدينة. وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنة»(١).

ثم بيَّن أنَّه لن يأتي علىٰ ذكر القراءات، وأنَّه استغنىٰ عن ذلك بذكرها في الكتب المعنية بها، وأنَّه لن يذكر من القراءات إلا ما يتطلبه المعنىٰ؛ فقال: «وذكرنا من سائر القراءة ما فيها فائدة في المعنىٰ والإعراب وغير ذلك. دون ما لا فائدة فيه زائدة. واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها. وقد ألفنا فيها كتبا نفع الله بها»(٢).

وعلىٰ ما تقدَّم فإننا نأتي علىٰ منهج ابن جزي في إيراده القراءات المتواترة والشاذة في سورة البقرة، إذ هي ما حدد لدراسة منهجه كما سلف.

نهج ابن جزي في كتابه عدم تسمية القارئ في الغالب الأعم من تفسيره، وقد تقدَّم آنفًا أنَّه اتخذ من قراءة ابن نافع أصلاً له في تفسيره الآيات، وعليه فلم ينبه

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٦).
(٢) السابق.

علىٰ أن هذه القراءة التي يفسر علىٰ هدي منها هي قراءة نافع، ولا يذكر الاختلاف بينهما وبين قراءة غيره إلا بذكر الاختلاف في القراءة، غير أنَّه كان يصدِّر الآية بقوله «وقرئ»، وإني ذاكر الآية القرآنية من رواية حفص عن عاصم، ثم أتبعه بذكر القراءات القرآنية بالطريقة التي ارتضاها المصنف؛ وهي رواية ورش عن نافع، ثم أعقب كلَّ قراءة بذكر القارئ أو القراء، وقد تكامل منهج ابن جزي في تناوله للقراءات القرآنية أربعة مناحٍ علمية أوردها من خلال القراءات في سورة البقرة، وهي كما سيظهر علىٰ النحو الآتي:

المنحى الأول: أنَّه يذكر قراءة نافع والتي بنىٰ عليها تفسيره، ثم يذكر بصيغة التجهيل (قُرئ) كذا، سواء في ذلك إذا كانت القراءة متواترة أو شاذة، ولا يفرق بينهما في إيرادها؛ وممن أورده من ذلك في سورة البقرة:

- قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [سورة البقرة]. قال ابن جزي: «(وَمَا يُخادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) أي: وبال فعلهم راجع عليهم، وقرئ: {وَمَا يَخْدَعُونَ} بفتح الياء من غير ألف من خدع وهو أبلغ في المعنىٰ، لأنه يقال خادع إذا رام الخداع، وخدع إذا تم له»[(١)].

اتخذ ابن جزي في الآية السابقة من قراءة نافع أساسًا لتفسيره، ثم ذكر قراءة أخرىٰ دون نسبتها، وقراءة نافع: (يُخادعون) وهي أيضًا قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ووافقهم أبو محمد اليزيدي أيضًا، وأما القراءة الأخرىٰ: {وَمَا يَخْدَعُونَ} فهي قراءة عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وباقي الأربعة عشر[(٢)].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٧١).

(٢) السبعة في القراءات، للشيخ أحمد بن موسىٰ بن مجاهد، تحقيق: د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ =١٩٨٠م، (ص١٦٨)، والتيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، (ص٧٢)، والمبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين النيسابوري، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١، ١٤٠١هـ =١٩٨١م، (ص١٢٧)، والنشر في

- قوله - تعالىٰ -: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة البقرة] قال ابن جزي: «(يُكْذِّبُونَ) بالتشديد أي يكذبون الرسول صلّىٰ الله عليه واله وسلّم وقرئ: بالتخفيف. أي: يكذبون في قولهم: آمَنَّا»[(١)].

فالتشديد قراءة: نافع كما ذكر المصنف، وأبي عمرو، وابن كثير، وابن عامر، وأبي جعفر، ويعقوب، ومن الأربعة: ابن محيصن، واليزيدي. والتخفيف قراءة: عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، ومن الأربعة: الحسن، والأعمش[(٢)].

- قوله - تعالىٰ -: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة البقرة]. قال ابن جزي: «(فَتَلَقَّىٰ) أي أخذ (وقيل)[(٣)] علىٰ قراءة الجماعة. وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات، فتلقىٰ علىٰ هذا من اللقاء»[(٤)].

القراءات العشر، (٢/ ٢٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للشيخ أحمد بن محمد الدمياطي الشافعي الشهير بـ«البناء»، تحقيق: د.أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م، (ص١٧٠).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٧١).

(٢) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٤١)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٧٢)، والمبسوط في القراءات العشر، (ص١٢٧)، والبحر المحيط، في تفسير القرآن العظيم، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: د.عبد الله عبد المحسن التركي، ومشاركة مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣٦هـ =٢٠١٥م، (١/ ٢٦١)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٥٦)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، (ص١٧٠).

(٣) كذا في مطبوعات التسهيل التي يسَّر الله لي الوقوف عليها -وهم ثلاثة- واطلعتُ عليها، حتىٰ ادعىٰ د.عبد الله الخالدي أن ثمة نقصًا في الكلام، ولقد تصرف أبو بكر بن سعداوي في نص ابن جزي فحذف هذه اللفظة ظانًّا منه أنه «قيل»؛ ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ومعه المصحف الشريف برواية ورش عن نافع، لابن جزي، اعتنىٰ به: أبو بكر ابن عبد الله سعداوي، حكومة الشارقة، المنتدىٰ الإسلامي، الإمارات العربية المتحدة، (ص٦٤)، علىٰ أن الأمر ليس كما ذهب هؤلاء المطبعيون؛ وإنما أصل الكلام: «فتلقىٰ؛ أي: أخذَ وقَبِلَ علىٰ قراءة الجمهور» فهي من القبول وليست من القول؛ كما في مصادر التخريج.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٨٠).

وعليه هنا فقرأ ابن كثير: (فتلَقَّىٰ آدَمَ مِن ربِّه كلماتٌ)، ووافقه ابن محيصن. وقرأ نافعٌ والباقون برفع {آدَمُ} ونصب {كَلِمَاتٍ}[1].

- قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة البقرة] قال ابن جزي: «(لا تَعْبُدُونَ إِلَّا...) اللهَ جواب لقسم يدل عليه الميثاق، وقيل: خبر بمعنىٰ النهي، ويرجحه قراءة لا يعبدون».

قرأ نافع بالتاء كما تقدَّم وهي قراءة جمهور الأربعة عشر؛ عدا ابن كثير، وحمزة، والكسائي؛ فإنهم قرأوا: (لا يَعبُدونَ)[2]، وقد خرَّجها ابن جزي علىٰ قول تفسيريٍّ عنده كما سيأتي في المبحث الأخير إن شاء الله.

- قول ـ تعالىٰ ـ: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة البقرة] قال ابن جزي: «تُفادُوهُمْ قرئ بالألف وحذفها والمعنىٰ واحد. وكذلك أسارىٰ بالألف وحذفها؛ جمع أسير»[3].

فابن جزي هنا اكتفىٰ بذكر أن الحرفين قرئا بالألف وبدونها، وتفصيل ذلك فيما يأتي[4]:

---

(١) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٥٣)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٦٣)، والإقناع في القراءات السبع، لأبي جعفر أحمد بن علي، المعروف بابن الباذش، تحقيق: د.عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرىٰ، ط١، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م، (٢/ ٥٩٧)، والنشر، (٢/ ١٢٣).

(٢) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٦٢)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٧٤)، والمبسوط في القراءات العشر، (ص١٣١)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣/ ٥٦)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٦٤)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، (ص١٨٤).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٨٩).

(٤) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٦٣)، والمبسوط في القراءات العشر، (ص١٣٢)، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، لأبي القاسم يوسف بن علي الهذلي، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م، (ص٤٨٨)، وشواذ

- قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم والكسائي ويعقوب: {وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ} بالألف جميعًا.

- وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر من العشرة، وأبو جعفر ومن الأربعة اليزيدي: (أُسَارَىٰ) بالألف. و (تُفْدُوهُمْ) بغير ألف.

- وقرأ حمزة وحده من العشرة، ومن الأربعة الحسن والأعمش: (أَسْرَىٰ تُفْدُوهم) بغير الألف في الحرفين.

وعليه فجملة هذه القراءات في القراءات الأربعة عشر كما تقدم هنا، والذي جعلني أنحو هذا النحو في ذكرها هو غموض قول المصنف في قوله: «قرئ... بالألف وحذفها».

- قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ ...﴿١٠٢﴾﴾ [سورة البقرة]؛ قال ابن جزي: «وقرئ: (الْمِلَكَينِ) بكسر اللام»[(١)].

وعليه فقراءة جمهور الأربعة عشر عدا الحسن البصري: {الْمَلَكَيْنِ} بفتح اللام، وقرأ الحسن: (الْمَلِكَينِ) بكسرها، وهي قراءة ابنِ عباس، وأبي الأسود الدؤلي، والضحاك، وعبد الرحمن بن أبزَىٰ أيضًا[(٢)]، وقد ذكرها المصنف ولم ينصّ علىٰ شذوذها.

القراءات، للكرماني، (ص٦٨)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣/ ٨٦)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ٢١٨)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، (ص١٨٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٩٢).

(٢) مختصر في شواذ من كتاب البديع، لأبي عبد الله ابن خالويه، تحقيق: برجستراسر، وآرثر جعفري، مكتبة المتنبي، القاهرة، ط١، ١٩٣٤م، (ص١٦)، والمحتسب، لابن جني، (١/ ١٠٠)، والكامل، للهذلي، (ص٤٩٠)، وشواذ القراءات، للكرماني، (ص٧١)، والبحر المحيط، ٣/ ٢١٨، ٢١٩.

- قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة]؛ قال ابن جزي: «(ما نَنْسَخْ) نزل حكمه ولفظه أو أحدهما، وقرئ بضم النون؛ أي نأمر بنسخه»(١).

قرأ جمهور الأربعة عشر عدا ابن عامر: {مَا نَنْسَخْ} بفتح النون الأولىٰ والسين، وقرأ ابن عامر وحده: (ما نُنسِخْ) بضم النون الأولىٰ، وكسر السين(٢).

- قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ...﴾ [سورة البقرة]؛ قال ابن جزي: «(أَوْنُنْسِها) من النسيان، وهو ضدّ الذكر: أي ينساها النبي صلّىٰ الله عليه واله وسلّم بإذن الله..، وقرئ بالهمز بمعنىٰ التأخير: أن نؤخر إنزالها أو نسخها»(٣).

نحا هنا أيضًا ابن جزي إلىٰ الاختصار والاقتصاد في ذكر قراءة حرف {نُنْسِهَا}، وهذا الحرف قد أورد فيه أبو حيان في تفسيره اثنتي عشر وجهًا لقراءته، ولكني هنا سأكتفي بذكر القراءات السبع المتواترة، والتي نصَّ ابن جزي علىٰ شهرتها في تفسيره، ثم يرجع من يشاء إلىٰ البحر المحيط لأبي حيان فثمت تفصيلٌ هناك ليس تدعو الحاجة هنا إلىٰ إيراده(٤)؛ وهو علىٰ النحو التالي:

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٩٣).
(٢) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٦٨)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٧٦)، والمبسوط في القراءات العشر، (ص١٣٤)، والكامل، للهذلي، (ص٤٩١).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٩٣).
(٤) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، (٣/ ٢٥٥، ٢٥٦).

- قرأ نافعٌ وعليه اعتمد ابن جزي، ومثله قرأ ابن عامر، وحمزة، وعاصم، والكسائي من السبعة عدا ابن كثير، وأبي عمرو: {نُنْسِهَا} بضم النون وكسر السين من غير همز(١).

- وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو من السبعة: (ننسأها) بفتح نون المضارعة والسين وسكون الهمزة(٢).

- قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة البقرة]. قال ابن جزي: «(وَلا تَسْئَلْ) بالجزم نهي..، وقرأ غير نافع بضم التاء واللام: أي لا تسأل في القيامة عن ذنوبهم»(٣).

قرأ نافع كما أوردها ابن جزي بالبناء للمعلوم، وبالجزم كذلك، وهي أيضًا قراءة يعقوب من العشرة، وقرأ حفص: {تُسأَلُ} بالبناء للمجهول ومجردة من الناصب والجازم، وهي قراءة الأربعة عشر عدا نافع ويعقوب كما تقدَّم(٤).

- قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ ...﴿١٤٨﴾﴾[البقرة]؛ قال ابن جزي: «و (مُوَلِّيها)؛ أي: موليها وجهه وقرئ: (مُولَّاها) أي ولّاه الله إليها»(٥).

لم ينسب نافع هذه القراءة لأحد من القراء ولم يشر كذلك إلىٰ كونها متواترة أو شاذة؛ كشأنه في تفسيره، وقد فسَّر علىٰ قراءة نافع، و{مُوَلِّيهَا} هي قراءة جمهور

(١) السبعة، لابن مجاهد، (ص١٦٨)، والإقناع، لابن الباذش، (٢/ ٦٠٥)، والنشر، لابن الجزري، (٢/ ١٦٥)، وإتحاف فصلاء البشر، (ص١٩٥).

(٢) السبعة، لابن مجاهد، (ص١٦٨)، والنشر، لابن الجزري، (٢/ ١٦٥)، وإتحاف فصلاء البشر، (ص١٩٥).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٩٦).

(٤) السبعة في القراءات (ص١٦٩)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٧٦)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص١٩١).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٠٠).

الأربعة عشر؛ عدا ابن عامر فإنه قرأها (مُولَّاها) بالألف[1]، كما ذكرها ابن جزي.

- قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ ...﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة البقرة]. قال ابن جزي: «(حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) أي ينقطع عنهن الدم فَإِذا تَطَهَّرْنَ أي اغتسلن بالماء...، وقرئ حتىٰ يطَّهَّرن بالتشديد»[2].

تخفيف الطاء وتشديدهما قراءتان كما ذكر ابن جزي، والأولىٰ قراءة نافع؛ وهي مبنىٰ ابن جزي لتفسيره، وهي قراءة عاصم أيضًا، وأبي عمرو، وابن عامر، وابن كثير، ويعقوب، من العشرة، والأربعة كلهم، وقرأ (حتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ) بتشديد الطاء حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر من العشرة[3].

- قوله ـ تعالىٰ ـ: {وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ} [سورة البقرة: ٢٣٦]. قال ابن جزي: «(عَلَىٰ الْمُوسِعِ قَدْرُهُ) أي يمتع كل واحد علىٰ قدر ما يجد، والموسع الغني، (الْمُقْتِرِ) الضّيق الحال، وقرئ بإسكان دال (قَدَرُهُ) وفتحها، وهما بمعنىٰ واحد»[4].

وفي قوله ـ تعالىٰ ـ {قدَرُهُ} قراءتان كما ذكرهما ابن جزي اعتمادًا علىٰ حركة الدال الفتحة والسكون، فبسكون الدال قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر من العشرة، والحسن، وابن محيصن، واليزيدي من الأربعة، وقرأ

(١) السبعة (ص١٧١)، والتيسير، للداني، (ص٦٦)، والإقناع لابن الباذش، (٢/ ٦٠٥)، والنشر، لابن الجزري، (٢/ ١٦٨)، وإتحاف فضلاء البشر، (ص١٩٥).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٩٦).

(٣) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٨٢)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٦٨)، والإقناع، لابن الباذش، (٢/ ٦٠٨)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ٢٢٧)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، (ص٢٠٣).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٩٦).

{قَدَرُهُ} بفتح الدال؛ عاصم، وابن عامر، والكسائي، وحمزة، ويزيد، وخلف من العشرة، والأعمش من الأربعة[١].

- قوله - تعالىٰ -: ﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [سورة البقرة]. قال ابن جزي: «(وَلَوْلا دِفاعُ اللهِ) الآية: منُّه علىٰ العباد بدفع بعضهم ببعض، وقرئ دفاع بالألف، ودفع بغير ألف، والمعنىٰ متفق»[٢].

في قوله - تعالىٰ -: {دَفْعُ} قراءتان، هما؛ (دِفَاع) مصد «دَفَعَ»؛ كـ: كتب كِتَابًا، أو كـ: قاتل قِتَالاً، وهي قراءة نافع، وأبي جعفر، ويعقوب من العشرة، ووافقهم الحسن من الأربعة، وقرأ {دَفْعُ} بغير ألف الباقون من الأربعة عشر[٣].

المنحى الثاني: من منهجه أيضًا أنَّه لا ينصَّ علىٰ أن القراءة شاذة، فضلا عن أن يذكر سبب شذوذها، سواء في ذلك مخالفتها في اتصال السند، أو في ضعف وجهها الإعرابي، أو أن يكون سبب شذوذها مخالفتها للرسم العثماني؛ وممن أورده من ذلك في سورة البقرة:

- قوله - تعالىٰ -: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ...﴿١٩٨﴾﴾ [سورة

(١) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٨٤)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٨١)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، (ص٢٠٥).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٣٠).

(٣) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٨٧)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٦٩)، والإقناع، لابن الباذش، (٢/ ٦١٠)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، (ص٢٠٧).

البقرة]. قال ابن جزي: «(فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ)؛ أي: التجارة في أيام الحج أباحها الله ـ تعالىٰ ـ، وقرأ ابن عباس: (فَضْلاً مِن ربِّكم في مَواسِمِ الحَجِّ)[1]»[2].

فقراءة ابن عباس رضي الله عنهما: (فَضْلاً من ربِّكم في مَواسِمِ الحَجِّ) مخالفة لسواد المصحف؛ لذلك قال أبو حيان الأندلسي: «والأولىٰ جعل هذا تفسيرا؛ لأنه مخالف لسواد المصحف الذىٰ أجمعت عليه الأمة»[3].

المنحى الثالث: أنَّه كان يحسن الظن بقارئ تفسيره؛ فقد لا يذكر أن في هذه الآية مثلا قراءتين، وإنما ينبه علىٰ إيرادهما بذكر حركة الحرف الهجائي في اللفظة القرآنية، وكذلك اعتمادًا علىٰ توجيهها؛ وممن أورده من ذلك في سورة البقرة:

- قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ... ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة البقرة]؛ قال الشيخ ـ رحمه الله ـ محسنا الظن بقارئه كما أسلفت: «(وَاتَّخَذُوا) بالفتح إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام، وبالكسر إخبار لهذه الأمّة»[4].

من المعلوم أن قراءة (واتخَذوا) بفتح الخاء علىٰ ماضوية الفعل؛ هي قراءة نافع، وابن عامر من السبعة، وقراءة {واتَّخِذوا} بكسر الخاء علىٰ الأمر، هي قراءة حفص،

---

(١) فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م، (ص٢٩١، ٣٢٥)، والمصاحف، لأبي بكر بن أبي داود، تحقيق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م، (ص١٨٩، ٢٠٥) عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، ومختصر في شواذ القراءات، لابن خالويه، (ص١٩)، وشواذ القراءات، للشيخ رضي الدين شمس القراء أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق: د.شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م، (ص٨٥).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٩٦).

(٣) البحر المحيط، لأبي حيان، (٥/ ١٤٤).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ٩٦).

وباقي الأربعة عشر ما عدا نافعًا وابن عامر كما تقدم[١]. والذي فعله الشيخ هنا أنَّه - رحمه الله - لم ينبه علىٰ مسمىٰ القراءة وإنما دلَّ عليهما من خلال الشكل الإعرابي، وساعده في ذلك اختلاف المعنىٰ بين القراءتين، وسيفرد صنيعه هذا في المبحث الأخير - إن شاء الله -.

- ومنه قوله - تعالىٰ -: ﴿... وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة البقرة]. قال ابن جزي رحمه الله: «(وَلَوْ تَرَىٰ) مِن رؤية العين، و(الَّذِينَ ظَلَمُوا) مفعول، وجواب (لو) محذوف؛ وهو العامل في أن التقدير: لو ترىٰ الذين ظلموا لعلمت أنّ القوّة لله، أو لعلموا أنّ القوّة لله، و{يَرَىٰ} بالياء، وهو علىٰ هذه القراءة من رؤيا القلب، والذين ظلموا فاعل، وأن القوّة مفعول {يرىٰ}»[٢].

فمن المعلوم كذلك أن (ولو ترىٰ) بالتاء للخطاب؛ هي قراءة نافع كما ذكر ابن جزي، وابن عامر من السبعة، ووافقهما، وأبو جعفر ويعقوب من العشرة، والحسن من الأربعة الزوائد، وأنَّ قراءة {وَلَوْ يَرَىٰ} بالياء للغائب، هي قراءة حفص، وباقي الأربعة عشر عدا نافع وابن عامر، وأبي جعفر ويعقوب، والحسن كما تقدم[٣]. وفعل الشيخ ابن جزي هنا كفعله في الآية السابقة هنا، وأنَّه اعتمد الشكل الإعرابي، وساعده علىٰ ذلك المعنىٰ المستنبط من الآية.

- قوله - تعالىٰ -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [سورة البقرة]. قال الشيخ ابن جزي رحمه الله:

---

(١) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٦٩)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٦٥)، والإقناع، لابن الباذش، (٢/ ٦٠٦)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٦٧)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، (ص١٩٢).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٠٦).

(٣) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٧٣)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٦٧)، وشواذ القراءات، للكرماني، (ص٨٠)، والإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش، (٢/ ٦٠٥)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٦٨)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، (ص١٩٦).

«(السَّلْمِ) بفتح السين: المسالمة، والمراد بها هنا عقد الذمة بالجزية، والأمر علىٰ هذا لأهل الكتاب، وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة، وقيل: هو الإسلام، وكذلك هو بكسر السين»[(١)].

فنافع ـ رحمه الله ـ قرأ (السَّلْم) بفتح السين كما أورده ابن جزي، وهي قراءة ابن كثير، والكسائي أيضًا من السبعة، وأبو جعفر من العشرة، وابن محيصن من الأربعة، وقرأ عاصم والباقون من الأربعة عشر سوىٰ من تقدم هنا: {السِّلم}[(٢)]، وكذلك لم ينسبها الشيخ ابن جزي لا لعاصم ولا غيره من القراء، وإنما اكتفىٰ بذكر حركة السين كما تقدم.

- وممن اكتفىٰ فيه بإيراد القراءة علىٰ ذكر حركة الحرف الهجائي أيضًا؛ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [سورة البقرة]؛ قال ابن جزي: «(خُطْواتِ الشَّيْطانِ) ما يأمر به، وأصله من خطوت الشيء...، وقرئ بضم الطاء وإسكانها وهي لغتان»[(٣)].

فابن جزي هنا ذكر أن ثمة قراءتين هنا؛ همَّا: (خُطْوات) ساكنة الطاء، و{خُطُوات} مضمومة الطاء؛ فالأولىٰ قراءة نافع كما بيَّن المصنف، وهي أبي عمرو، وحمزة، وخلف، وعاصم برواية أبي بكر من العشرة، والحسن والأعمش من الأربعة، والثانية قراءة عاصم برواية حفص ويعقوب، وابن عامر، والكسائي،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١١٧).

(٢) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٨٠)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٦٨)، والمبسوط في القراءات العشر، (ص١٤٥)، والإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش، (٢/ ٦٠٨)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٥/ ٢٥٣)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٧١)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، (ص٢٠١).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٠٦).

والبرجمي عن أبي بكر، وأبي جعفر من العشرة، واليزيدي، وابن محيصن من الأربعة، وقرأ ابن كثير القراءتين جميعًا الإسكان والضم(١).

المنحى الرابع: من ملامح منهج ابن جزي في تناوله للقراءات القرآنية أنَّه كان لا يذكر القراءة الأخرىٰ، وإنما ينصُّ علىٰ قراءة نافع وغيره كذا، ولا يشير إلىٰ القراءة الأخرىٰ إلا من باب التلميح، والذي من خلاله يعتمد علىٰ فطنة قارئه،؛ وممن أورده من ذلك في سورة البقرة:

أنَّه عند تفسيره لقول الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [سورة البقرة]؛ إذ يقول ابن جزي رحمه الله: «(قُلِ الْعَفْوَ) أي: السهل من غير مشقة، وقراءة الجماعة بالنصب بإضمار فعل مشاكلة للسؤال، علىٰ أن يكون ما مبتدأ، وذا خبره»(٢). فابن جزي هنا لم يذكر القراءة المخالفة للجماعة، ولم يبين ماهيتهم، وإنما اكتفىٰ بذكر أنها للجماعة، وعليه فإنه ذكر قراءة الرفع ضمنًا، وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء من السبعة، واليزيدي من الأربعة عشر، والنصب قراءة الباقين من العشرة عدا أبا عمرو، والباقين من الأربعة عدا اليزيدي(٣)، وهم الجماعة كما ذكر الشيخ.

---

(١) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٧٣)، والحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، مراجعة: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ =١٩٩٣م، (٢/ ٢٦٥)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٦٧)، والمبسوط في القراءات العشر، (ص١٣٩، ١٤٠)، والكامل، للهذلي، (ص٤٩٥)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٤/ ٢٤٦)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٧١)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، (ص١٨٥، ١٩٧).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٢٠).

(٣) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٨٢)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٦٨)، والمبسوط في القراءات العشر، (ص١٤٦)، والإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش، (٢/ ٦٠٨)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٥/ ٤٠٨)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٠٣).

وبعدُ فقد نحىٰ ابن جزي في تناوله للقراءات القرآنية ناحية مختصرة في إيرادها، ومقتصدة علىٰ ما يحتاجه المعنىٰ المستنبط من كتاب الله، وقد أوضح غايته هذه ومراميه في مقدمة تفسيره؛ فقال: «وذكرنا من سائر القراءة ما فيها فائدة في المعنىٰ والإعراب وغير ذلك. دون ما لا فائدة فيه زائدة. واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها. وقد ألفنا فيها كتبا نفع الله بها»[1]، والذي أراه هنا أنَّه قد وفَّىٰ لما أراده لتفسيره من إيراد هذه الفوائد، وهو ما سيظهر معنا بنحو قوي في المبحث الأخير ـ إن شاء الله ـ.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٦).

المبحث الثاني
منهج ابن جزي في توجيه
القراءات القرآنية والاحتجاج بها

الاحتجاج عند النحاة هو إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة أو تركيب، والتدليل عليه بأحد أدلة النحو الإجمالية[١]. وأدلة النحو الإجمالية أربعة: السماع، والقياس، والإجماع، والاستصحاب، والدليلان الأولان محل اتفاق بين النحاة جميعًا، والدليلان الأخيران محل اختلاف بين النحاة[٢].

ويجب ألاَّ يغيب عن أذهاننا- ونحن نعالج قضية الاحتجاج بالقراءات القرآنية عند ابن جزي- أنَّ القرآن الكريم هو السبيل للبحث في لغة العرب نثرها وشعرها؛ لتكون معينة علىٰ فهمه وتفسيره، وهو وسيلة الاحتجاج التي يعتمدها النّحاة في ضبط اللغة وتقعيدها، حيث إنّ الكثير من قرَّائه أسّسَ قواعد العربية علىٰ ما جاء في القرآن، ولا عجب في ذلك فجلهمّ من النحاة: «فمن البصريين: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسىٰ بن عمر الثقفي، وأبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن الكوفيين: علي بن حمزة الكسائي، ويحيىٰ بن زياد الفرّاء»[٣].

---

(١) ينظر: معجم مصطلحات النحو العربي، د.جورج متري عبد المسيح، د.هاني جورج، تصدير: د.مهدي علام، مكتبة لبنان، ط١، ١٤١٠هـ =١٩٩٠م، (ص٣٥)، وفي أصول النحو، أ.سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٩٦٤م، (ص٦).

(٢) ينظر: الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٥، ٢٠١١م، ١/ ١٠٩، وما بعدها، والاقتراح في أصول النحو، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د.عبد الحكيم عطية، دار البيروني، دمشق، ط٢، ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م، (ص٢١).

(٣) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د.مهدي المخزومي، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٧٧هـ =١٩٥٨م، (ص١٨).

وأمَّا فيما يتصل بعلم القراءات من الحثِّ علىٰ تعلم العربية للذي يتصدىٰ للإقراء؛ فقد ألمع ابن الجزري إلىٰ شيء من هذا؛ فقال في معرض حديثه عما يلزم المقرئ أن يتحلىٰ به: «والذي يلزم المقرئ أن يختلق به من العلوم قبل أن ينصب نفسه للاشتغال أن يعلم من الفقه..، ويعلم من الأصول قدر ما يدفع به شبهة من يطعن في بعض القراءات، وأن يحصل جانبا من النحو والصرف بحيث إنه يوجه ما يقع له من القراءات، وهذا من أهم ما يحتاج إليه وإلا يخطئ في كثير مما يقع في وقف حمزة والإمالة ونحو ذلك من الوقف والابتداء وغيره، وما أحسن قول الإمام أبي الحسن الحصري:

لقد يدعي علم القراءات معشر ∴ وباعهم في النحو أقصر من شبر»[1]

وقد تقدَّم معنا في أن ابن جزي سلك منهجًا طيّبا في إيراد القراءات القرآنية؛ متواترها وشاذها، وقد كان ـ رحمه الله ـ بارًّا بهم، شاكرًا لهم، يتصدىٰ لمن طعن فيهم من علماء القراءات أو العربية، فماذا كانت نظرته للقراءات؛ متواترها وشاذها، وهل سوَّغ الاحتجاج بها، هذا كله ما سيظهر في النقاط التالية:

كان ابن جزي علىٰ نهج من سبقه من كبار المفسرين اللغويين؛ كابن جني، وأبي علي الفارسي، وممن عاصره وكان فردًا في توقيره للقراء والقراءات أبو حيان الأندلسي، وغيرهم ممن يتلمس وجوه القراءات، وكان من منهجه أن يقبل القراءة إذا جاءت علىٰ لغة من لغات العرب، ولغة القراءات إنما هي لغات لقبائل عربية، وعليه فهو ـ رحمه الله ـ إن تأكد من ثبوت لغة في قراءة؛ فإنه يحتج بها ويقيس عليها، ومن ذلك في سورة البقرة:

(١) منجد القراء ومرشد الطالبين، (ص٩).

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [سورة البقرة]؛ قال ابن جزي: «(خُطْواتِ الشَّيْطانِ) ما يأمر به، وأصله من خطوت الشيء...، وقرئ بضم الطاء وإسكانها وهي لغتان»(١).

قد تقدم تخريج هذين القراءتين في المبحث الأول(٢)، والذي أثبته هنا أن ابن جزي أثبت في تفسيره أن القراءة ما دامت أتت علىٰ لغة فهي مقبولة عنده وقوية لديه(٣)؛ لذلك نراه يعتد بالقراءات، وينصُّ علىٰ ذكرها في تفسيره؛ فيقول: «وذكرنا من سائر القراءة ما فيها فائدة في المعنىٰ والإعراب وغير ذلك»(٤).

ومن ملامح منهج ابن جزي في احتجاجه بالقراءات أنَّه يقوي معنىٰ يريده بقراءة أخرىٰ، ومن ذلك في سورة البقرة أنه عند قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿...وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [سورة البقرة]. إذ يقول ابن جزي: «(وَلا يُضَارَّ كاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ) يحتمل أن يكون (كاتِبٌ) فاعلاً علىٰ تقدير كسر الراء المدغمة من (يضارّ)، والمعنىٰ علىٰ هذا نهي للكاتب والشاهد أن يضارّ صاحب الحق أو الذي عليه الحق بالزيادة فيه أو النقصان منه، أو الامتناع من

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٠٦).

(٢) ينظر ما تقدم في المبحث الأول، (ص٢٤).

(٣) ينظر أيضًا تناوله للقراءات القرآنية واحتجاجه بها؛ لكونها لغة عن العرب فيما يلي:
قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ ...١٣٦﴾ [الأنعام] إذ يقول ابن جزي (١/ ٢٧٦): «وقرئ بفتح الزاي والكسائي بالضم وهما لغتان». وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١﴾ [الأعراف]. قال ابن جزي (١/ ٢٩٧): «وأما ضم الهاء وكسرها فلغتان، وأما إسكانها فلعله أجرىٰ فيها الوصل مجرىٰ الوقف».
وينظر أيضًا المواضع التالية من تفسير ابن جزي: (١/ ٣٢٧، ٣٤٧، ٣٧٦، ٤١٥، ٤١٩، ٤٣٠، ٢/ ١٣٦، ١٨٠، ٢٨٤، ٢٩٩، ٣٣٠، ٣٥٤، ٤٣٠، ٤١٥، ٤١٦، ٤٧٨، ٤٨٥،...إلخ).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٦).

الكتابة أو الشهادة، ويحتمل أن يكون (كاتِبٌ) مفعولاً لم يسم فاعله علىٰ تقدير فتح الراء المدغمة، ويقوي ذلك قراءة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ (لا يضارر) بالتفكيك وفتح الراء[1]، والمعنىٰ: النهي عن الإضرار بالكاتب والشاهد؛ بإذايتهما بالقول أو بالفعل»[2]. فابن جزي هنا يحتج بقراءة شاذة علىٰ إثبات توجيه قرآني نحا ناحيته، وقد ساعد علىٰ ذلك قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا بلا شك ليس ابن جزي فيه بأوحد، وإنما كما أن القرآن يفسر بعضه بعضًا فإن القراءات يعاضد بعضها بعضًا.

ومن التماس ابن جزي لاحتجاجه للقراءات القرآنية أنَّه يبحث عن الوجه اللغوي والنحوي للقراءة، وقد ساير هذا النهج ابنَ جزي في تفسيره، ومن أمثلة ذلك في سورة البقرة:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿...قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ...﴿٢٤٩﴾﴾ [سورة البقرة]؛ فإنَّ ابن جزي في تناوله لها قال: «(إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غَرْفَةً) رخص لهم في الغرفة باليد، وقرئ بفتح الغين؛ وهو المصدر، وبضمها؛ وهو الاسم»[3].فإن ابن جزي هنا قد ذكر قراءتين إحداها هي قراءة نافع وعلىٰ أساسها وجَّه تفسيره وبناه، وهي أيضًا قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر من العشرة، وابن محيصن، واليزيدي من الأربعة، والقراءة الأخرىٰ: {اغْتَرَفَ غُرْفَةً} وهي قراءة عاصم، وابن عامر، وحمزة،

(١) معاني القرآن، لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد الفراء، تحقيق: محمد علي النجار، محمد يوسف نجاتي، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، ط١، د.ت، (١/ ١٥٠)، ومختصر في شواذ القراءات، لابن خالويه، (ص٢١)، وشواذ القراءات، للكرماني، (ص٩٣)، البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، (٦/ ٤٨)، وإتحاف فضلاء البشر، (ص٢٠٤).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٤٠).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٣٠).

والكسائي، ويعقوب، وخلف من العشرة، والحسن، والأعمش من الأربعة[١]، وكان سبيل العربية فيها عند ابن جزي أنَّه خرَّجها علىٰ معناها اللغوي، ووظيفتها النحوية، فالقراءة الأولىٰ التي هي بفتح الغين هي مصدر «غَرَف»: غَرْفَةً، وأمَّا القراءة الثانية، والتي هي بضم الغين، خرجت علىٰ كونها اسم مصدر مسموع، ولا يخضع لقياس، وبالتالي فإنها قد أتت علىٰ لغة من العرب تضم ما حقه الفتح، ولكنه معمول به فأضحىٰ اسمًا للمصدر ويعامل معاملته.

ومنه أيضًا قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿... وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [سورة البقرة] فإن ابن جزي في تناوله أيضًا نحا نحوًا لغويًّ؛ فقال: «(كانَ) تامة بمعنىٰ حضر ووقع، وقرئ: (ذَا عُسرَةٍ)؛ أي: إن كان الغريم ذا عسرة»[٢].

فقوله ـ تعالىٰ ـ: {ذُو عُسْرَةٍ} قراءتان؛ متواترة وشاذة؛ فالأولىٰ برفع «ذو» وهي قراءة متواترة عن العشرة، والأربعة التي فوقها، وأمَّا القراءة الثانية: «ذا» بالنصب فهي قراءة شاذة؛ قرأ بها أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن العباس، وعثمان بن عفَّان، رضي الله ـ تعالىٰ ـ عنهم، وقرأ بها أيضًا إبراهيم بن أبي عبلة[٣]، فهذه القراءتين التي أوردهما ابن جزي، ولم يفرق في نصه بين المتواتر منها والشاذ، وكان اعتماده في علىٰ اللغة، ومدىٰ دلالة «كان» في الآية القرآنية، وهو نفس ما نحاه ابن جزي في تفسيره التسهيل.

---

(١) السبعة في القراءات (ص١٨٧)، والتيسير، للداني، (ص٨١)، والمبسوط في القراءات العشر، (ص١٤٩)، والإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش، (٢/ ٦١٠)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٦/ ٢٤٦)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٠٧).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٣٨).

(٣) معاني القرآن، للفراء، (١/ ١٨٦، ٢/ ٣٦٨)، ومختصر في شواذ القراءات، لابن خالويه، (ص٢٤)، والكامل، للهذلي، (ص٥١٢)، وشواذ القراءات، للكرماني، (ص١٠٢)، البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، (٦/ ٥٤١).

وبعد فقد كان ابن جزي وفيًا لهذا النهج في تفسيره، وفي احتجاجه للقراءات في مواضع شتىٰ منه، وهو ما يوضح إلىٰ أي مدىٰ كان تقدير ابن جزي للقراءات، وأنَّه لما أفرد لها مقدمة خاصة دلَّ ذلك علىٰ تقديره لها ولأئمتها.

المبحث الثالث
ربط المعنى القرآني بالقراءات
القرآنية عند ابن جزي

علم القراءات له اتصال قوي بالتفسير؛ فبعض القراءات توضح المعنىٰ المراد، وبعضها يزيل الإشكال، وبعضها يبين المعنىٰ المهم، وقد أورد السيوطي لتعدد القراءات القرآنية أكثر من اثني عشرة فائدة رسخها في كتابه «الإتقان»(١)، وقد أشار ابن جزي نفسه في مقدمة تفسيره أنَّه بنىٰ إيراد القراءات القرآنية في تفسيره هذا علىٰ إيراد ما له فائدة ثم بيَّن أنَّه لن يأتي علىٰ ذكر القراءات، وأنَّه استغنىٰ عن ذلك بذكرها في الكتب المعنية بها، وأنَّه لن يذكر من القراءات إلا ما يتطلبه المعنىٰ؛ فقال: «وذكرنا من سائر القراءة ما فيها فائدة في المعنىٰ والإعراب وغير ذلك. دون ما لا فائدة فيه زائدة. واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها. وقد ألفنا فيها كتبا نفع الله بها»(٢)، ومن ناحية أخرىٰ «كأن ابن جزي يريد أن يقول: ما له فائدة فيما يتعلق بالمعنىٰ والإعراب وما قرب منه فإنه يأخذ به؛ مثل: البلاغة، لكن ما سوىٰ ذلك فإنه يتركه؛ لأن المرجع فيها كتب القراءات..؛ فهو انتخب من علم القراءات ما له علاقة بالمعنىٰ والإعراب وما قرب من ذلك»(٣). ومن هذه المكانة التي احتلها علم القراءات فقد عُدَّ من العلوم اللازمة للمفسر، وهذا ما اتفق عليه كل من صنف في علوم القرآن.

---

(١) ومن هذه الفوائد التي ذكر السيوطي قوله: «منها: المبالغة في إعجازه بإيجازه إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية علىٰ حدة لم يخف ما كان فيه من التطويل ولهذا كان قوله: {وَأَرْجُلَكُمْ} (المائدة/ ٦) منزلاً لغسل الرجل والمسح علىٰ الخف واللفظ الواحد لكن باختلاف إعرابه. ومنها: أن بعض القراءات يبين ما لعله يجهل في القراءة الأخرىٰ فقراءة: «يطَّهَّرن» بالتشديد مبينة لمعنىٰ قراءة التخفيف وقراءة: «فامضوا إلىٰ ذكر الله» تبين أن المراد بقراءة: «فاسعوا» الذهاب لا المشي السريع». وغيرهما، ينظر: الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م، (١/ ٢٧٨، ٢٧٩).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٦).

(٣) شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، مساعد الطيار، (ص١٠٤).

ومن هنا فقد بنىٰ أبو القاسم ابن جزي تفسيره في تناوله للقراءات القرآنية علىٰ ربطها بالمعنىٰ، وقد نصَّ كما تقدَّم أنَّه كان معنيًا بذلك، وأنَّه لن قراءة إلا ما كان لها سبيلاً إلىٰ تقرير معنًىٰ تفسيرًا، وهذا ما بدا بوضوح في إيراده للقراءات لسورة البقرة، وهو ما سأتناوله في هذا المبحث.

- إضافة القراءة القرآنية معنًىٰ جديدًا للآية القرآنية:

قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ ...﴿٢٣٣﴾﴾ [سورة البقرة]. قال ابن جزي: «(لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها): قرئ بفتح الراء؛ لالتقاء الساكنين علىٰ النهي، وبرفعهما علىٰ الخبر، ومعناها النهي، ويحتمل علىٰ كل واحد من الوجهين أن يكون الفعل مسندًا إلىٰ الفاعل، فيكون ما قبل الآخر مكسورًا قبل الإدغام، أو يكون مسندًا إلىٰ المفعول، فيكون مفتوحًا، والمعنىٰ علىٰ الوجهين: النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد، ويدخل في عموم النهي: وجوه الضرر كلها والباء في قوله بولدها وبولده: سببية»[1]. فقوله ـ تعالىٰ ـ: {لا تُضَارَّ} إذا قُرئ بفتح الراء المشددة كان غرض الكلام النهي لفظًا ومعنىٰ؛ وهي قراءة نافع، وعاصم، والكسائي، وابن عامر، وأبو جعفر، وخلف من العشرة، ووافقهم الحسن البصري والأعمش من الأربعة، وإذا قرئت بالرفع كان غرض الكلام الخبر لفظًا والنهي معنىٰ؛ وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب، وقتيبة عن الكسائي من العشرة، ووافقهم ابن محيص واليزيدي من الأربعة[2]، وهذه المغايرة الأسلوبية كان القراءات القرآنية السبب الأول فيها؛ لذلك قال أبو حيان عن قراءة الرفع: «وهذه القراءة مناسبة لما قبلها من قوله: ﴿...لَا تُكَلَّفُ

(١) المصدر السابق نفسه، (١/ ١٢٥).

(٢) السبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص١٨٣)، والتيسير، لأبي عمرو الداني، (ص٦٩)، والمبسوط في القراءات العشر، (ص١٤٩)، والإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش، (٢/ ٦٠٨)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٦/ ٤٣)، والنشر في القراءات العشر، (٢/ ١٧١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص٢٠٤).

نَفْسُ إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾؛ لاشتراك الجملتين في الرفع، وإن اختلف معناهما؛ لأن الأولىٰ خبرية لفظا ومعنىٰ، وهذه خبرية لفظًا، نهيية في المعنىٰ»[(١)].

ومن هنا يتبين لنا كيف استطاع ابن جزي أن يطوع القراءة القرآنية ويبني علىٰ اختلافها معنىٰ جديدًا، بل قل غرضًا بلاغيًا ساهم في تكوينهما القراءتان؛ وهما التنوع الأسلوبي بين الجملة الخبرية، والجملة الإنشائية.

- الاعتماد علىٰ القراءة القرآنية في ترجيح معنىٰ ما مستنبط:

من ذلك توجيه ابن جزي للمعنىٰ المستنبط من قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿...وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ... ﴿٢٨٢﴾﴾ [سورة البقرة] بأن المراد منه: «ويحتمل أن يكون (كاتِبٌ) مفعولاً لم يسم فاعله علىٰ تقدير فتح الراء المدغمة، ويقوي ذلك قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (لا يُضَارَرْ) بالتفكيك وفتح الراء»[(٢)]؛ اعتمادًا علىٰ قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٣)]، فهو هنا يتخذ من القراءة مبتنىٰ ينبي عليه استنباطه من القرآن، وكان للقراءة القرآنية العامل الأساسي الذي ساعده علىٰ انتحائه لهذا المعنىٰ، وأنَّه بذلك قد ربط بين المعنىٰ المستنبط والقراءة القرآنية، وقد تقدم عنه أنَّه لن يذكر من القراءات ما كان له أثر في المعنىٰ وفائدة مرجوة[(٤)].

---

(١) البحر المحيط، (٦/ ٤٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١/ ١٤٠).

(٣) تقدم تخريجها في المبحث الثاني، (ص٢٨).

(٤) ومن ذلك أيضًا عند ابن جزي أنَّه عند تناوله لتفسير قوله تعالىٰ: ﴿...مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ... ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف]، قال في (١/ ١٤٠): «إِلاَّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أي كراهة أن تكونا ملكين، واستدل به من قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء، وقرئ ملكين بكسر اللام، ويقوي هذه القراءة قوله: (وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ)». فنراه هنا احتجَّ بقوله تعالىٰ في سورة طه: ﴿...قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه]؛ تقوية لمعنىٰ مستنبط من الآية القرآنية، بل من سورة أخرىٰ ليؤكد أن للقرآن حقيقة واحدة، وأنَّه يعامل معاملة السورة الواحدة. وينظر أيضًا المواضع التالية من التسهيل: (١/ ٤٠٧، ٢/ ٩٥، ٢٩٥).

خاتمة البحث

تناول هذا البحث «منهج ابن جزي المالكي في تناوله للقراءات القرآنية في سورة البقرة»، وأسفرت الدراسة عن ثبوت صحة فرضها، وأن منهج ابن جزي في تفسيره نحا فيه نحوًا مختصرًا اعتمد في علىٰ اللغة والمعارف العلمية، وأنَّه يعدُّ نهجًا قويمًا بين مناهج المفسرين، ومن المعلوم بالضرورة أن لكل عمل نتائج وثمرات في نهايته، وقد توصلتُ إلىٰ عدد من النتائج البحثية أثناء عملي، أريد أن أسجلها في النقاط الآتية:

١ - أثبت البحث أن ابن جزي التزم بمنهجه في إيراد القراءات القرآنية في تفسيره (التسهيل...)؛ وقد أوضح في منهجه أنه لن يذكر من القراءات إلا ما كان له فائدة في المعنىٰ وبيان في الإعراب.

٢ - أن التسهيل لعلوم التنزيل قد وفق ابن جزي في إيراد علوم كتاب الله المنزل علىٰ نبيه ﷺ، وأنَّه يعدُّ من أهم الروافد التي تستقىٰ منها علوم القرآن عامة، علم القراءات القرآنية خاصة بطريقة محكمة، وبيان موجز ل يفقد من خلاله سمة التفسير القرآني.

٣- أن ابن جزي قد امتاز بنهج قويم بنىٰ عليه تعامله مع القراءات القرآنية وأئمة القراءات، ولا سيما المتواتر منها، فقد كان من أمره أنَّه يحتج بالقراءة القرآنية لتقرير معنىٰ تفسيري استنبطه من كتاب الله ـ تعالىٰ ـ، بل نراه كيف طبق أن القراءة القرآنية قد غيرت المعنىٰ القرآني كلية، وحولته من الأسلوب الإنشائي البحت إلىٰ الأسلوب الخبري لفظًا الإنشائي معنىٰ وهو ما أكسبته القراءات القرآنية.

٤- أن ابن جزي قد أرسىٰ قاعدة مهمة في حقل القراءات القرآني، ثم رأيناه يطبقها تطبيقًا تامًّا متكاملاً، وألا وهي: أن القراءات القرآنية جاءت علىٰ لغات العرب؛ قياسها، وشاذها، وهذا ما بينه البحث أيضًا.

أما عن التوصيات التي أراها مهمة لإيفاء موضوع البحث حقه الكامل من البحث والدراسة، فإنني أوصي بالآتي:

١- دراسة مناهج المفسرين الآخرين دارسة منهجية عامة، والاهتمام بمعرفة مناهجهم في تناولهم لعلم القراءات خاصة؛ فليس من شكٍّ أن لكل مفسر رؤيته التي تبناها، وارتضاها؛ ليبني عليها تفسيره ويخرجه في سلك التفاسير والقراءات التفسيرية للكتاب العزيز، وكذلك ثمة اتجاهات متميزة في تناولهم لمحكم التنزيل مما يوجب التوقف عند جهدهم والتعرف عليه.

٢- ينبغي أن يطبع تفسير ابن جزي طبعة جديدة؛ تليق بالجهد الذي بذله ابن جزي فيه، فما من طبعة إلا وهي تحتوي علىٰ هفوات شتىٰ، ما بين تصحيف، وتحريف، وسوء إخراج لها؛ حتىٰ أن إحدىٰ الطبعات حذفت بعض الكلمات والتي أرادها ابن جزي أن تكون مَعلمًا لكتابه، وما حمله علىٰ ذلك إلا الجهل بطبيعة الكتاب الذي يتعامل معه، وعليه فينبغي أن تتبنىٰ هيئة علمية لطباعة الكتب التراثية بعناية فائقة، وإلا رجعنا من كل كتاب بخفي حنين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

١ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للشيخ أحمد بن محمد الدمياطي الشافعي الشهير بـ«البناء»، تحقيق: د.أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م.

٢ - الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٣٩٤هـ =١٩٧٤م.

٣ - الإحاطة في أخبار غرناطة، لأبي عبد الله لسان الدين بن الخطيب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ =٢٠٠٤م.

٤ - أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٦: ١٤٠٢هـ =١٩٨٢م.

٥ - الاقتراح في أصول النحو، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د.عبد الحكيم عطية، دار البيروني، دمشق، ط٢، ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م

٦ - إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: د.حسن حبشي، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ط١، ١٣٨٩هـ =١٩٦٩م.

٧ - الإقناع في القراءات السبع، لأبي جعفر أحمد بن علي، المعروف بابن الباذش، تحقيق: د.عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرىٰ، ط١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٨ - إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة، لأبي الحسن جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ =١٩٨٢م.

٩ - البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: د.عبد الله عبد المحسن التركي، ومشاركة مركز هجر

للبحوث والدراسات العربية الإسلامية، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣٦هـ =٢٠١٥م.

١٠- البدور الزاهرة في القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة، عبد الفتاح محمد القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

١١- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي، تحقيق: د.عبد الله الخالدي، شركة الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ =١٩٩٦م.

١٢- التسهيل لعلوم التنزيل ومعه المصحف الشريف برواية ورش عن نافع، لابن جزي، اعتنىٰ به: أبو بكر بن عبد الله سعداوي، حكومة الشارقة، المنتدىٰ الإسلامي، الإمارات العربية المتحدة.

١٣- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، تحقيق: أوتو برتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ =١٩٨٤م.

١٤- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، مراجعة: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ =١٩٩٣م.

١٥- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٥، ٢٠١١م.

١٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد، الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ =١٩٧٢م.

١٧- السبعة في القراءات، للشيخ أحمد بن موسىٰ بن مجاهد، تحقيق: د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ =١٩٨٠م.

١٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
١٩- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحب الدين النويري، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
٢٠- شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، د.مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، اعتنىٰ بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، دار الجوزي، الملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣١هـ=٢٠١١م.
٢١- شواذ القراءات، للشيخ رضي الدين شمس القراء أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق: د.شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
٢٢- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي لخير ابن الجزري، تحقيق: برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، طبعة مصورة عن الطبعة الأولىٰ، ١٣٥١هـ.
٢٣- غيث النفع في القراءات السبع، لأبي الحسن الصفاقسي، تحقيق: أحمد محمود الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.
٢٤- فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
٢٥- في أصول النحو، أ.سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٩٦٤م.
٢٦- قواعد أساسية في البحث العلمي، سعيد إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٢٧- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، لأبي القاسم يوسف بن علي الهذلي، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م.

٢٨- المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين النيسابوري، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١، ١٤٠١هـ =١٩٨١م.

٢٩- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، للإمام أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ =١٩٦٦م.

٣٠- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د.مهدي المخزومي، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٧٧هـ =١٩٥٨م.

٣١- المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود، تحقيق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ =٢٠٠٢م.

٣٢- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد الفراء، تحقيق: محمد علي النجار، محمد يوسف نجاتي، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، ط١، د.ت.

٣٣- معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأريب، لشهاب الدين ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ =١٩٩٣م.

٣٤- معجم مصطلحات النحو العربي، د.جورج متري عبد المسيح، د.هاني جورج، تصدير: د.مهدي علام، مكتبة لبنان، ط١، ١٤١٠هـ =١٩٩٠م.

٣٥- مناهج المفسرين، د.منيع بن عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ =٢٠٠٠م.
٣٦- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لشمس الدين ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ =١٩٩٩م.
٣٧- النشر في القراءات العشر، لشمس الدين ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرىٰ، القاهرة، د.ت.
٣٨- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لشهاب الدين المقري التلمساني، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٨م.

فهرس الموضوعات

مقدمة البحث ٥٧٧
التمهيد: تعريف مصطلحات عنوان البحث ٥٨٢
المبحث الأول: منهج ابن جزي في تناول القراءات القرآنية المتواترة والشاذة ٥٨٩
المبحث الثاني: منهج ابن جزي في توجيه القراءات القرآنية والاحتجاج بها ٦٠٥
المبحث الثالث: ربط المعنىٰ القرآني بالقراءات القرآنية عند ابن جزي ٦١١
خاتمة البحث ٦١٤
فهرس المصادر المراجع ٦١٦
فهرس الموضوعات ٦٢١